استهداف الحضارة الغربية للنبي صلي الله عليه وسلم دراسة في الكتاب المقدس

إعداد / د/إقبال احمد عبد الرحمن ابودوم

المبحث الأول

الأنبياء والرسل في الكتب السماوية وربانية الأديان السماوية

من العجائب البشرية المؤلمة أننا نعيش في زمن انحصر الصراع الحضاري فية بين الأديان السماوية حيث أن الصراعات الحضارية العالمية المعاصرة انحصرت بنسبة كبيرة بين أصحاب الأديان السماوية وعلي الرغم من أن المنطقة العربية اختصها الله سبحانه وتعالي بنزول الأديان السماوية فيها لأنها كذلك عانت من الصراع الحضاري بسبب التوجهات الدينية. علي الرغم من وحدة المصدر الرباني السماوي. ويرجع ذلك بصور أساسية إلى الأسباب الآتية:

١. انعدام آليات الحوار الفكري الشفاف.
٢. الانحياز التام للفروض المسبقة تجاه الآخر.
٣. تعطيل المصادر السماوية بوصفها آليات للحكم على العلاقات بين الطوائف الدينية والدول الواقعة في مظلة الأديان السماوية.
٤. تعرض الكتاب المقدس لترجمات عديدة غابت معها المدلولات الأصلية لعبارات الكتاب كما أنزل مع انعدام الأصل حتى لدي المؤسسات الدينية والتعليمية.
٥. رسوخ فكرة احتكار النبوءات لدي شعب محدد.
٦. استغلال رجال السياسة والحكم النفوذ الديني في تمرير أهوائهم.
٧. رسوخ مفهوم الصراع لدي أصحاب بعض الديانات السماوية شجعت اللجوء إلى الصراعات المسلحة مما ضيق مساحات التلاقي الفكري.

٨. الاختلافات الطائفية لدي أصحاب الديانة الواحدة ولربما كان لأصحاب ديانة سماوية أخري أيادٍ خفيه في تفتيت وحدة الآخرين.

كل هذه النقاط جعلت من التعايش السلمي والمعايشة من المستحيلات علي الرغم من النموذج الفريد للتعايش بين الإسلام والمسيحية في داخل المنطقة العربية. إلا أن الصراع تجاه العالم العربي الإسلامي يتم تحريكه وإدارته من خارج حدود منطقة الأديان السماوية التي خصها الله برسالاته.

وهي أرقي الأديان علي مدار التاريخ البشري لأنها صنعة إلهية محضة، بل من أجل هذه الأديان السماوية خلق الإنسان وعليه فأن هذا الإنسان هو المنوط به أن يحمل هذه الأديان ليطبقها واقعاً معاشاً من دون تحريف أو حذف أو إضافة حتى تحتفظ بربانيتها،وليحتفظ الإنسان بالخصوصية التي خصه بها المولي عزَّ وجل فكان أرقي المخلوقات، ليحصل التوافق والتناسب بينه وبين عقيدته هذا على سبيل العموم، أما علي سبيل الخصوص فإن المبلغين لهذا الدين، والذين عرفوا في تاريخ المعتقدات الدينيه بالأنبياء والرسل، كانوا بلا منازع قمم البشرية بشهادة أممهم

ومع كل ذلك الزخم من الصراعات إلا أن منهجية الحوار العلمي الشفاف مع الآخر من خلال مدارسة منطلقات كلاً هي السبيل الوحيد الصادق المستدام لتحقيق المسالمة والمعايشة بين الأديان السماوية.إذ أنها جميعها منطلق من مبدأ أساسي واحد وهو توحيد الله، حيث لا يوجد تلاقي بينها وبين أي معتقدات أخري مثل التلاقي بين بعضها البعض. أذا استثنينا الاختلافات الدخيلة علي الأديان السماوية مناط النزاع الداخلي بين الديانة الواحدة. ودخول بعض العقائد الفاسدة على مسيرة الأديان ، تناولتها النزاعات التاريخية بين أصحاب الملة الواحدة.

مما يستوجب الدراسة العلمية الجادة كما أشار لذلك هانس كنغ في كتابه: مشروع لأخلاق عالمية (الإسلام عالمياً بلا سلام بين الأديان، ولا سلام بين الأديان بلا حوار بين الأديان ولا حوار بين الأديان بلا دراسات جادة وأبحاث موضوعية)[١].

ويستهدف هذا البحث بصورة رئيسة النبوات باعتبارها إحدى أصول الإيمان عند أصحاب الديانات السماوية ستكون مباحث هذه الورقة وعلى وجه الخصوص نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب المقدس والذي نقصد به العهد القديم والجديد، أو التوراة والإنجيل.

ومن المبشرات وجود وحدة موضوعية في تناول الكتب السماوية لحياة الأنبياء والرسل مع وجود بعض الاختلافات في كيفية التناول والأسلوب إلا أنه يوجد ما يؤكد وحدة المصدر الرباني للأصل مع الاحتفاظ لكلٍ بخصوصية ترجع إلي الخلفيات التاريخية للتاريخ البشري لأصحاب الديانات وتعاملها مع الكتب السماوية وكيفية إدارتها للتعامل مع مقدساتها من خلال النص علي سبيل المثال لا الحصر سيدنا إبراهيم عليه السلام تناول الكتاب المقدس مسيرة حياته في تلاقي مع النص القرآني الكريم علي سبيل المثال:

قال تعالى (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)[٢].

وقال تعالى ({وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً) [٣]

[١]/ الإسلام بعيون مسيحية. لطفي حداد ص . ٢٦٩ . الدار العربية للعلوم ط/ الاولى ٢٠٠٤م

[٢]/سورة اية البقرة ١٣٠

[٣]/ سورة مريم آية ٤١

وقال تعالى: {وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَالِمِينَ}[١]

وقال تعالى:{وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ}[٢]

وقال تعالى:(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ* إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ* فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ* فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلَيمٍ* فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ* قَالُواْ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ)[٣]

وقد جاءت تفاصيل قصة سيدنا إبراهيم في سفر التكوين علي النحو التالي (وتراءى الرب له عند بلوط ممرا، وهو جالس بباب الخيمة عند احتداد النهار * فرفع عينيه ونظر، فإذا ثلاثة رجال واقفون بالقرب منه فلما رآهم، بادر إلى لقائهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض *وقال "سيدي، إن نلت حظوة في عينيك، فلا تجز عن عبدك * فيقدم لكم قليل من الماء فتغسلون أرجلكم وتستريحون تحت الشجرة * وأقدم كسرة خبز فتسندون بها قلوبكم ثم تمضون بعد ذلك جزتم بعبدكم ". قالوا " افعل كما قلت " * فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال " هلمى بثلاثة أصواع من السميد الناعم فاعجنيها واصنعيها فطائر " وبادر إبراهيم إلى البقر، فأخذ عجلاً رخيصاً

[١]/ سورة العنكبوت آية ٣١

[٢]/ سورة هود٦٩

[٣]/ سورة الزاريات آية ٢٤ . ٣٠

طيباً إلى وسلمه إلى الخادم فأسرع في إعداده * ثم أخذ لبناً وحليباً والعجل الذي أعده وجعل ذلك بين أيديهم وهو واقف بالقرب منهم تحت الشجرة فاكلوا)[١].

قوله تعالى (الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَآءِ)[٢]

وقال تعالى: {وَوَصَّى بِهَآ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ}[٣]{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)[٤]

قال تعالى: (ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ)[٥].

قال تعالى: (وَلَمَّا جَآءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) [٦]

قال تعالى:(إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) [٧]

قال تعالى:(قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [١]

---

[١]/سفر التكوين (١٨: ١.٨)

[٢]/سورة إبراهيم آية ٣٩

[٣]/ سورة البقرة آية ١٣٢

[٤]/سورة البقرة آية١٢٤

[٥]/سورة مريم آية ٣٤

[٦]/ سورة الزخرف آية ٦٣

[٧]/ال عمران اية ٤٥

قال تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ) [٢]

قال تعالى: ({تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [٣]

مع وجود هذا التلاقي فيما يتعلق بالأنبياء السابقين الذكر إلا أن من أكبر نقاط الخلاف المسيحية واليهودية تجاه الإسلام لا ترجع إلى منطلقات عقدية بين الديانه الإسلامية واليهودية والمسيحية بقدر أن نقطة الخلاف الاساسية المعتمدة عدم إثباتهم لنبوءة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. مع العلم أن من أركان الإيمان في المعتقد الإسلامي الإيمان بالكتب السماوية والإيمان بالرسل.

وفي حين أن هناك خلاف في اعتماد الكتب السماوية إلا أننا لا نملك إلا أن نبحث فيما هو موجود لدينا، فهي المرجعية الأساسية المعتمدة في توجيه العقيدة والشريعة لكل أصحاب الأديان السماوية. كما أن من المستحيل للعقلية البشرية مهما امتلكت من البراعة في التحريف والتبديل أن تتمكن من إلغاء تام لملامح منهاج رباني لديانة سماوية، ربانية، من عليم محيط بالكون، وبالطباع البشرية. كذلك من الصعب

---

[١]/ المائدة آية ١١٤

[٢]/ سورة البقرة آية ٨٧

[٣]/ سورة البقرة اية٢٥٣

قطع برنامج إلهي لتسلسل الديانات السماوية. فإذا كان سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم هو الرسول الخاتم مهما حدث من إخفاء لهذه المعلومة لا تستطيع اليد البشرية من التغلب على المنهاج الرباني، والتحكم في دلالات النص بالكامل، وإلغاء البشارات في الكتاب المقدس عن نبؤة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم.ومن خلال البحث في داخل النسخ المتاحة من الكتاب المقدس توقفنا على البشارات الآتية الدالة على نبوة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم.

المبحث الثاني

البشارات بسيدنا محمد في الكتاب المقدس

وردت البشارة بنسل سيدنا إسماعيل والمباركة له في نسله في عدة مواطن نذكر منها:-

" وقال الرب لإبرام١ بعد اعتزال لوط عنه ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً لأن جميع الأرض التي أنت ترى ، لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد وأجعل نسلك كتراب الأرض. حتى إذا استطاع أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يعد. قم امشي في الأرض طولها وعرضها. لأني لك أعطيها فنقل إبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات مصر التي في جروف "

" صار كلام الرب إلى إبرام في الرؤيا قائلاً: لا تخف يا ابرام انا ترس لك. أجرك كثيراً جداً. فقال ابرام أيها السيد الرب: ماذا تعطيني وأنا ماضٍ عقيما. ومالك بيتي هو اليعازر الدمشقي وقال ابرام أيضاً: انك لم تعطني نسلاً وهوذا ابن بيتي وارث لي. فإذا كلام الرب إليه قائلاً: لا يرثك هذا بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك ثم أخرجه إلى الخارج وقال: انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعد. وقال له: هكذا يكون نسلك وآمن بالرب وخشيه له برا "٢

ثم تفصل التوراة بعد ذلك بين نسل سيدنا إسماعيل وسيدنا إسحاق عليهم السلام.

١/إبرام: اسم سيدنا إبراهيم في التوراة قبل أن يقال له إبراهيم

٢/الإصحاح الخامس سفر التكوين آية ١ -- ٧

" اما ساراي* امرأة ابرام فلم تلد له وكانت له جارية مصرية اسمها هاجر فقالت ساراي لإبرام هوذا الرب قد امسكني عن الولادة ادخل على جاريتي لعلي ارزق منها بنين. فسمع ابرام لقول ساراي فأخذت ساراي امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها من عشر سنين لإقامة ابرام في أرض كنعان وأعتطها لإبرام رجلها زوجة له فدخل على هاجر فحبلت ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينها. فقالت ساراي لابرام ظلمى عليك. انا دفعت جاريتي إلى حضنك. فلما رأت انها حبلت صغرت في عينها. يقضي الرب بيني وبينك. فقال ابرام لساراي هوذا جاريتك في يدك. افعلي بها ما يحسن في عينك. فأذلتها ساراي فهربت من وجهها. خرجت ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت والى أين تذهبين فقالت انا هاربة من وجه مولاتي ساراي فقال لها ملاك الرب ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها وقال لها ملاك الرب تكثيرا الكثرة نسلك فلا يعد من الكثرة وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل لان الرب قد سمع لمذلتك وانه يكون إنساناً وحشيا. يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وإمام جميع أخوته يسكن. فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت ايل رئي لأنها قالت اهنا أيضا رأيت بعد رؤية لذلك دعيت البئر بئر لحى رئى هاهي بين قادش وبارد. فولدت هاجر لإبرام ابنا دعى إبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل. وكان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجرا إسماعيل لإبرام١.

---

*/ ساراي: اسم السيدة سارة. الكتاب المقدس الإصحاح التاسع عشرة آية ١٥

١/ الإصحاح السادس عشر سفر التكوين آية (١– ١٦)

أوضح النص السابق ان وعد الله عز وجل لإبراهيم بشأن الوارثين له من صلبه قد تحقق بولادة إسماعيل عليه السلام. وأوضح النص أيضاً أن بركة الله للأمم من آل إبراهيم سيكون لإسماعيل حظاً منها لقول ملاك الله لهاجر " ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك وانه يكون إنساناً وحشيا. يده على كل واحد ويد كل واحد عليه" أي سيكون نسله قويا كالوحوش في القوة وسيكون مرة رئيساً على الأمم (يده على كل واحد) ومرة مرؤوسا (يد كل واحد عليه) أو مرة يكون غالبا بواسطة الأمم ومرة تكون الأمم غالبة به، حسب الترجمة السامرية. فإن النص فيها هكذا " وهو يكون وحشيا من الناس يده بالكل ويد الكل به.١

وتبين التوراة بعد ذلك " وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك؟ فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق. وأقيم عهدي معه عهداً أبديا لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثني عشر رئيسا يلد وأجعله امة كثيرة. ولكن عهدي أقيمه مع اسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت من السنة الآتية.٢

وضح النص: أن الله تعالى عظم إسماعيل عليه السلام " كثيراً جداً " وجعل ذريته " امة كبيرة " والرجل لا يعظم ولا يشرف في الناس بكثرة نسله فقط بل يعظم ويشرف بكثرة النسل إذا كانوا مؤمنين مطيعين لله٣. والأمة الكبيرة التي وعد الله بها إسماعيل عليه السلام على لسان أبيه إنْ لم تكن مسلمة لله منقادة إليه فأي فائدة من

١/البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل . احمد حجاز السقا . دار الجيل – بيروت – لبنان – ط/ ا ت/ ١٤٠٩هـ. ١٩٨٩م . ص/٨٨

٢/ الإصحاح السابع عشر سفر التكوين آية (١٨ – ٢٣)

٣/البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل . أحمد حجاز السقا . مرجع سابق . ص ٨٩

وعد إسماعيل بها وهذا التعظيم لم يظهر وهذه الأمة الكبيرة لم تظهر إلا من بعد بعثة النَّبي محمد صلى الله عليه وسلم فقد كانت النبوءة من بعد إسحق إلى سيدنا يعقوب ولم تذكر الكتب السماوية أمة عظيمة في نسل سيدنا إسماعيل إلا أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وتستمر التوراة في سرد الأَحداث التي كانت بين سارة وسيدنا إبراهيم وهاجر بعد ميلاد سيدنا إسماعيل وإسحاق على النحو الآتي " ورأت سارة ابن الجارية المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها. لان ابن الجارية لا يرث مع ابني إسحق فقبح الكلام جدا في عيني إبراهيم بسبب ابنه فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينيك من اجل الغلام ومن اجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها. لأنه بإسحق يدعى لك نسل. وابن الجارية أيضاً سأجعله امة لأنه نسلك"١.

ولما ابتعدت هاجر عن مكان سكن سارة ورحلت بابنها الى جبل فاران وهو مكان غير ذي زرع " نادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك ياهاجر لا تخافي لان الله قد سمع صوت الغلام حيث هو قومي احملي الغلام يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة"٢.

من خلال النصوص السابقة نجد أن التوراة بشرت سيدنا إسماعيل في أكثر من موضع على النحو التالي:-

١- أن بركة إبراهيم تكون في نسله.

١/الاصحاح الواحد وعشرون اية (٩. ١٣)

[٢]/ الاصحاح الواحد وعشرون اية (١٧. ١٩)

٢- تبشير ملاك الأرض للسيدة هاجر بعد سماع الرب لمذلتها كما ذكر النص دليل على انه لا يبشر بظالمين للناس من نسل هاجر. وانه حيث يبشرها بخبر سار يربط على قلبها، يبشر بمن يكون عالى القدر وعظيم المنزلة ورفيع الدرجة.

٣- إَنَّ العهد الذي وضعه الله بينه وبين سيدنا إبراهيم هو عهد النبوءة "وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك من أجيالهم عهدا أبديا"١ ولما كان تخصيص البركة في إسحق " قال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك" ورد الله بقوله " وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره جدا اثني عشر رئيسا يلد واجعله امة كبيرة"٢. ومن هذا النص صارت لإسماعيل بركة كما لإسحق بركة وأنَّ سارة لما تأكدت من إرث إسماعيل لأبيه في البركة كابنها إسحق سواء بسواء طلبت أن يكون حق الإرث لإسحق وحده٣. فقال الله لإبراهيم "بإسحق يدعى لك نسل وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك"٤

٤- اختيار سيدنا إبراهيم إلى أرض مكة على الصورة التي كانت عليها وتركه لابنه الرضيع وأمه في هذه الأرض التي وصفها القرآن بأنها غير ذي زرع لا يكون إلا تنفيذاً لأمر رباني. كما أكدت التوراة أنَّ ملاك الأرض نادى السيدة هاجر في " ناد ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك يا هاجر لا تخافي، لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو قومي واحملي الغلام، وشدي يدك به، لأنه سأجعله أمة عظيمة" وحيث أنَّ هذه الأرض لم ترتبط بأي دين سماوي بعد سيدنا إبراهيم إذ أنَّ لا

١/الإصحاح السابع عشر سفر التكوين آية ٣ – ٧

٢/الإصحاح السابع عشر سفر التكوين آية ١٨ – ٢٠

٣/البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل احمد حجازي السقا . مرجع سابق . ص ١٠١

٤/الإصحاح الواحد والعشرون سفر التكوين آية ١٢ – ١٣

اليهودية ولا النصرانية لم يكن لهما وجود في هذه الأراضي، ولم ترتبط هذه الأرض إلا بدين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على أنَّ الأمة العظيمة التي وعدت بها السيدة هاجر كانت أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحيث إن معاني لفظ الأمة كثيرة تدور حول إنسان + رسالة وقد يكون الإنسان طائفة لها معتقدها.

المبحث الثالث

الحراك الثقافي العالمي واستهداف النبي صلي الله عليه وسلم

مهما استهدف العالم العربي الإسلامي تعددت الجنسيات فيه وتداخلت السلوكيات البشرية في ظل التزاحم المادي العالمي يظل عنصر الثقافة والحضارة العربية بكل مكوناتها صاحب السيادة والكلمة الأخيرة في تحقيق مصيره لذلك ندع للعقل العربي الأصيل وحده تحديد مصير الأمة العربية وليس هذا سبقاً للأحداث ولكن معتقد ثابت لدى الباحثة لا يتغير بسنة التداول وهذا ليس ثقة في البشر ولكن العالم العربي مهبط كل الأديان السماوية وبه الأماكن المقدسة لكل الأديان السماوية.

أن يتحول العالم العربي إلى شرق أوسط جديد فهذا الطرح نقض لكل التراث الديني وأول ضربة للكنيسة وليس للإسلام والمسلمين. إن المسلمين احتفظوا بالأماكن المقدسة كما هي رغم ظهور المسجد كمؤسسة دينية بدلاً عن الكنيسة في اليهودية والنصرانية إلا أن سيدنا عمر لم يهدم الكنيسة ليس هذا اعترافاً بصلاحية المنهج الكنسي وإنما هو اعتراف للتاريخ البشري بالنسق التطوري لحركة الرسالات السماوية التي ختمت بالرسالة العالمية وإذ يهاجمها البابا مدعياً أنها لم تأت بجديد فهذا بداية الاعتراف داخل النفس المتجبرة فعندما تظهر الحقائق في وجه المتجبر يبدأ في البحث عن مخارج تساعده على الاستمرار في تجبره.

كذلك أن يتبنى الغرب قيام شرق أوسط جديد دون أن تقدم الفاتيكان اعتراضاً فما ذلك إلا استمرار لسرقة تاريخية لمجد أورشليم التي ظلت تبحر في الدماء من خلال المحاولات اليائسة لوقف مسيرة الإرادة الإلهية لحركة التاريخ البشري

والاعتراض على نبوءة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. في الوقت الذي ظلت فيه مكة مهبط رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم تنعم باعتراف التاريخ البشري لها بالأمن والسلام ومن أعظم البشارات التي لم تلمسها يد التحريف التي كما يدعون ربما كانت بسبب الترجمات، إن هذه المدينة المباركة تتصف بذلك فلم تسل فيها قطرة دم من اجل الرسالة بل حتى دخول النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة كان فتحاً لم ترق فيه قطرة دم وهذا الوعد موجود في ((ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد أشيدي بالترنم فيها التي لم تمخض لأن نبي المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب. أوسعي مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك لا تمسكي أطيل اطنابك وشددي أوتادك لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى الشمال ويعمر مدناً خربه لا تخافي لأنك لا تخزنين ولا تخجلي لأنك لا تستحين فأنك تنسين خزي صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل إلى كل الأرض يدعى لأنك كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب كزوجة الصبا إذا رذت قال إلهك لحيظة تركتك وبمراحم سأجمعك وبفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحيظة وبإحسان ابدي أرحمك قال وليك الرب كمياه نوح حلفت إن لا تعبر بعد مياه علي الأرض هكذا حلفت أن لا اغضب عليك ولا أزجرك فإن الجبال تزول والآكمام تتزعزع أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب.))

أيتها الذليلة المطربة غير المتغذية هاأنذا ابني بالاثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق اوسسك واجعل شرفك ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيراً بالبر تثبتين بعيدة عن الظلام فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنو منك ها إنهم مجتمعون اجتماعاً ليس من عندي ومن اجتمع

عليك فاليك يسقط هانذا قد خلقت الحداد الذي ينفخ الفحم في النار ويخرج آلة لعمله وأنا خلقت المهلك ليخرب.

كل آلة صوت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه وهذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي يقول الرب))١.

وقد كان الخطاب واضحاً في سفر التكوين حيث كان الوعد هذا الوقت من السنة الآتية إلى سيدنا اسحق وهذا يفسر توالي نزول الأنبياء في نسل سيدنا اسحق في منطقة مصر والشام ولم تظهر منطقة الحجاز مسكن سيدنا إسماعيل إلا مع ظهور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول سفر التكوين (فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وندعو اسمه اسحق وأقيم عهدي معه عهدا أبديا لنسله من بعده وأما إسماعيل فقد سمحت لك فيه ها أنا أباركه كثيراً جدا اثني عشر رئيسا بل وأجعله أمة كبير ولكن عهدي أقيمه مع اسحق الذي تلده سارة في هذا الوقت في السنة الآتية)٢ وهذا يعتبر الخطاب لمكة بانها ترملت منذ فترة طويلة من الزمن كما أن سفر التكوين كذلك وصف أن سيدنا إسماعيل بالمتوحش في خطاب بين السيدة هاجر وملاك الرب: (ها أنت حبلي فتلدين ابنا وتدعين أسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك وانه يكون إنسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه)٣. وأن توصف مكة بهذا الوصف فلا يمكن أن يخرج منها نبي كذاب كما أشار النص في إنجيل اشعيبا الإصحاح (٥٤) ولا يمكن لنبي أرسل في قرية وصفه بهذا الحماية من

١/ انجيل اشعياء لإصحاح الرابع والخمسون (١٧.١)

٢/ سفر التكوين. الاصحاح السابع عشر(٢٣.١٨)

١/ سفر التكوين الاصحاح الخامس عشر (١٢.١٢)

الله سبحانه وتعالي أن يكون دموياً فإذا هي دعيت إلى الترنم والرقص وحليت بأجمل الحجار مثل (الحجر الأسود) لا يمكن أن تبعث للبشرية بنبي دموي.

ولكن الواضح من خطاب البابا كما رأينا في الأونة الأخيرة أن بعض المنشورات الكنسية أصبحت تتخلى عن بعض المعتقدات مثل محاولات الخروج من مطب قضية التثليث حيث صار العقل البشري المستنير لا يتقبلها كذلك محاولات التفريق بين الألوهية والربوبية وإثبات أحادية الألوهية وجعل نبوة سيدنا عيسى نسباً وليس بنوءة ميلاد.

واخيراً محاولات إثبات صحة الكتاب المقدس من خلال النص القرآني١ مع العلم أنه لا يمكن للاحق أن يبرهن صدق السابق إلا إذا كان أصدق منه وهذا ضمنياً اعتراف بالقرآن. كذلك وصف البابا سيدنا محمداً بأنه لم يأت بجديد مع العلم بأن الرسالات السماوية كلها كانت تكملة لسابقاتها وذلك كما ذكر في الإنجيل على لسان (سيدنا عيسى من انه لم يأتي لينقض الناموس ولكن ليكمله)٢ كذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم ينقض رسالات الرسل من قبله ولكنه ينسخها ويدمج ما لم يحرف فيها قال تعالى {وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً}٣.

أما محاولة الاجابة عن أنه لم يأتِ بجديد فندع للعلمانية الإجابة عنها إذ إنها ما كانت إلا لأن المرحلة التاريخية احتاجت إلى نظام لتسير الحياة بصورة منهجية

٢/ انظر اعظم كتاب وكذالك الانجيل قراء شرقية. وتاريخ البشرية قراء في سفر التكوين

٣/ انجيل متي . الاصحاح الخامس(٤٢.٣٨)

٤/ سورة النساء اية: ١٦٤

علمية لم تستطع الكنيسة الغربية أن تقدمه للمجتمع الغربي فسادت المذاهب المادية التي انعكست منها أنظمة الحكم.

مع أن المنهج الإسلامي من خلال النص القرآني وسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يغفل شيئاً قال تعالى {..الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً..}١ لذا كان الأجدر بالكنيسة الغربية في صورة البابا بدل توجيه التهم الكاذبة المتجردة من المصداقية، البحث عن حل لمشكلة المعضلة التي وضعتها فيها الليبرالية بطرحها نهاية التاريخ. علماً بأن كل الأديان السماوية اتفقت حول بداية تاريخ البشرية على الأرض بنزول سيدنا آدم عليه السلام رغم اختلاف رجال الدين حول مصداقية الكتب الموجودة الآن. أما المدارس المادية فتقوم نظرتها للتاريخ وفق تفسيرٍ مادي للعالم بقوانين الديالكتيك والصدفة والحريات المطلقة ومن هنا يظهر التصادم الواضح بين متطلبات المدارس الفكرية سواء كانت رأسمالية ليبرالية أو نزعات شيوعية مترنحة بين السقوط والراديكالية لذلك نهاية التاريخ تجعل من التلاقي بين الثقافات المادية والأديان السماوية أمراً مستحيلاً بهذا الطرح المتطرف غير المقبول للأديان السماوية. فالنصرانية مثلاً تؤمن بأن النهاية لا تكون إلا بظهور المسيح عليه السلام وأن يأتي ليخلص العالم الذي مليء فساداً. بل بعضهم يري أنه يأتي وينتقم من الدولة الرومانية ويصفون الاتحاد الأوروبي بأنه بداية عودة الدولة الرومانية٢ وهذا يعني أن نهاية التاريخ تحتاج حسب النبوءة النصرانية إلى مساحة زمنية يكتمل فيها الاتحاد الأوروبي وتعود السلطة الرومانية.

١/ سورة المائدة اية ٣

٢/ ثم ياتي المنتهي . ماهر صمويل . ط/ ١ . ت/ ٢٠٠١ . مطابع السلام . القاهرة مصر. ص/٢٤

وما هذه الأطروحات إلا تمهيد للقضاء على الأيدلوجيات والثقافات الأخرى وعلى كلٍ سواء أنهم يعملون لذلك أولا فعودة المسيح دلالة واضحة إلى أن النصرانية تتنبأ بأن العالم سوف يعم فيه الفساد وهذا ينقض فكرة أن الليبرالية نهاية للتاريخ وأنها ستحقق مجتمعاً مستقراً للإنسان. كما يدعي فوكوياما فالعالم إلى الآن يعاني من الهيمنة والاستبداد وما ذلك الصراع العسكري إلا دليل علي أن لغة التواصل الثقافي في عصر العولمة تعزفها الآلة الحربية. وكيف يكون الحديث عن النهايات ونحن لم نصل حتى الآن إلى منهج متفق عليه لتحقيق ذلك والساحة تمتلكها سلطة القوة وهي الموجه الوحيد للسياسات الهاضمة للتوجهات الفكرية والعقدية، كذلك استمرار روح المقاومة سواء سميت إرهاباً أو مناهضة يجعل من الحديث عن نهايات سابقاً لأوانه. ما لم يكن ذلك مطلباً استراتيجياً أو أملاً تتطلع إليه الديمقراطية الرأسمالية الليبرالية لتحقيق دولة الرفاه والاقتصاد المختلط والتعددية السياسية ولكن السؤال الملح كيف يكون هذا والغرب نفسه أمام تصادم المنهج المادي والنصرانية كما ظهر ذلك من خلال تصادم الليبرالية كنهاية وظهور المسيح فأيهما الأصدق لابد من الإجابة قبل محاولة إدماج الأخر. وكيف يكون ذلك وما زال الواقع الثقافي والسياسي مليئاً بتعددية لم تحسم فمازالت هنالك صيحات متفرقة تنادي بالاشتراكية وهل ستفتح الإمبريالية الأمريكية مجالاً لتعددية اشتراكية شيوعية، وكيف يكون هذا المجتمع ونبوءة متي ويوحنا وسفر الرؤيا بعودة المسيح بل كيف يكون ذلك بين الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت.

وآخر استفساراتنا هل ما تزال الكنيسة الغربية إلى الآن تنعم بأمانتها كشاهد للمسيح الموجود عن يمين الله رغم الواقع الذي وضعها الغرب فيه حتى أصبحت تبحث عن خصوم آخرين.

هذه نقاط كان لابد للغرب قبل طرح عولمته من الوقوف عليها حتى يتحرك العالم تلقائياً برؤى واضحة نحو المجتمع الجديد محدداً موقفه من جميع النواحي.

أما فيما يختص بصدام الحضارات نجد أن الأطروحات السابقة لم تخرج من نطاق تصادم الغرب مع ذاته وهذا لا يمكن أن يظهر بصورة واضحة لاختفاء الكنيسة الروحية وسيطرة المادة علي جميع نواحي الحياة.

أما ما يخص تصادم الحضارة الغربية والحضارة العربية فلا مجال للحراك بينهما وذلك لتميز الحضارة العربية بخصوصيات حضارية ذاتية إلهيه مقابله. امتدت تاريخيا لتشمل كل الرسالات السماوية أي أنها استوعبت مراحل التطور البشري على ضوء اختياراته ومستوى استجابته للتوجيه الإلهي.

إذ أن الحضارة الغربية في نسقها وتطورها هي شكل من أشكال العالمية القائمة على المطلق الذاتي وقوانين تطورها الموضوعية ليست هي قوانين تطور الجنس البشري وإنما هي ظواهر طبيعتها من الحركة الخاصة بها من استبداد واستعمار وهيمنة. أما الحضارة العربية فهي في نسقها وتطورها تقوم على العناية الإلهية لها باعتبارها حضارة السلام والوحدة والعدل في شكلها العالمي أو هكذا يفترض أن تأتي مسيرتها النهائية. ١

حيث أن النظام الإسلامي ساد العالم العربي على مدى تسعة قرون شكل خلالها النظام العالمي العربي الإسلامي، أي أن الرسول صلي الله عليه وسلم وهو المبعوث لكل البشرية، وهو رسول للإنسانية جمعاء، ما فعله الصحابة من بعده بنشر الدين الإسلامي حتى امتدت الدولة الإسلامية إلى فارس، وأوروبا حتى أسبانيا، ومشارف

١/ العالمية الاسلامسة الثانية . محمد ابوالقاسم حاج حمد . مرجع سابق

الصين، وبلاد الشام ومصر والسودان. وإذا كان العالم يحاول فرض ثقافته عبر مخططاته المختلفة وعبر التقنية المتطورة، فإن الإسلام قد أقام نظاماً عالمياً كان أساسه العدل والمساواة وحرية الأديان السماوية للعبادة، العرقية والقبلية والجهوية، وأصبح المعيار هو التقوى، أما على الصعيد الاقتصادي فقد احتفظ النظام العالمي الإسلامي بخصائص الحرية والانفتاح بانتقال السلع والعمالة ورأس المال والتقنية، على نطاق العالم الإسلامي بلا أية قيود تذكر، كما ظلت الوحدة النقدية – وقاعدتها الدينار الذهبي – على ماكانت عليه مع استحداث أصناف متعددة من الدراهم والفلوس (النقود المعدنية)، كما ظل العالم الإسلامي يمثل حلفاً عسكرياً ساد العالمي محوره العالم الإسلامي. وعموماً فإن الفرق بين العولمة الإسلامية وعولمة اليوم هو في كون أن العولمة الإسلامية استندت على نظام من القيم والمبادئ الإسلامية التي تقوم على العدالة والمساواة والحرية الكاملة للبشر والسلع وحركة الثقافة، دون قيود، وعدم فرض الرأي بالقوة، في حين أن عولمة اليوم تجيز حركة السلع ورأس المال دون العمالة والتقنية والخصخصة الإستراتيجية في الأسواق العالمية، في ظل وضع تسيطر فيه الدول الكبرى على مقاليد الأمور مع ازدواجية في المعايير الدولية تعمل لصالح الدول الكبرى ضد الدول الصغرى١.

أما واقع الحضارة الإسلامية اليوم فهذا دليل لسعة الإسلام ليتقبل الفكر البشري المتقلب بين الخطأ والصواب فلا توجد مثالية بشرية مطلقة إلا عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو خاتم المرسلين قال تعالي (وأنك لعلى خلق عظيم) أي أن

٢/ الاتخطيط الاستراتيجى . محمد حسين أبو صالح ط /١. ت/ ٢٠٠٦ م – ص/ ١٢٤ – نقلاً عن محمد هاشم عوض الابعاد الاقتصادية للعولمة – دراسة مقدمة لمركز الدراسات الاستراتيجية بالخرطوم، يوليو ١٩٩٨م . ص/٥٣ – ٥٥.

يتقلب المفكر الإسلامي بين الخطأ والصواب في إطار الثوابت الإسلامية فهذه سنة إسلامية فإن أصاب له أجران وإن أخطأ له أجر.

أذن التطور في إطار الثبات منهج أصيل في كل العصور وهذه قمة صلاحية الإسلام لكل مكان وزمان ويستمر بهذه النهاية بالفكر البشري في إطار حركة تاريخية متغيرة تتفاعل مع العالم إذن نهاية الحضارات الإنسانية كانت بحضور رسالة سيدنا محمد خاتم الرسل والمرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم فإذا أراد الغرب أن ينشر السلام ويحقق العولمة في ظل الرفاهية ما عليه إلا أن يتجه إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واعتقد أن هذا ما أزعج البابا في ظل ثورة المعلومات وتزايد أعداد الذين يدخلون الإسلام وأراد سريعا أن يغلق الباب مدعيا بأن سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم لم يأت بجديد ناسياً أنه اعتراف بذلك بنبوءة محمد صلى الله عليه وسلم.